مقدِّمة في
علم الشمائل المحمَّديَّة

لفضيلة الشيخ
محمد بن هادي المدخلي حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد،

فأهلًا وسهلًا ومرحبًا بإخوتي وأبنائي وأحبَّتي طلبة العلم، أهلًا وسهلًا ومرحبًا بِمَن تنتعش بهم الشريعة، فلولاهم بعد الله-جلَّ وعزَّ-لَمَا قام لهذا الدين منار، ولا اعتلا له شعار.

فأنتم معشر الإخوة والأبناء من ينعش المشايخ ويعينهم على الاجتهاد في التحضير، ويعينهم على الاجتهاد في البذل والعطاء، فإنَّكم إن تجشَّمتم العناء والتَّعب فإنَّ لكم أيضًا الفضل في إنعاش العلم، فبكم تعمر المجالس، وبكم يباهى في المجالس، فمجالسكم أفضل المجالس مع أهل العلم.

والعالم إذا قعد ببلد لم يجد فيها من يسأله، ولم يجد فيها من يطلب العلم عليه تضيق نفسه، وقد جاء عن سفيان أنَّه دخل بلدة من البلدان لا نريد تسميتها فأخذ مدَّة-رحمه الله-لم يسأله أحد فيها عن العلم، فقال: (إن هذه بلدة يموت بِها العلم) وخرج منها.

وأنتم ولله الحمد بمدينة رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-، فخير على خير، وإنَّ مجلسكم هذا وإنَّ ساعاتكم هذه التي تقضونها لَمِن أحسن الساعات وأحسن المجالس.

أيها الإخوة في الله:

إنَّ الصبر في طريق الطلب والتحصيل أجره عظيم، وذلك لأنَّ صاحبه يرجو من الله-تبارك وتعالى-أن يمُنَّ عليه بالفقه في دينه الذي قال فيه النبي-صلى الله عليه وسلَّم-:

(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...)[1]، الخير كلُّه قليله وكثيره صغيره وكبيره قد حصر في هذا، فمن وفِّق لذلك فقد وفِّق للخير، ومن حرم ذلك فنسأل الله-جلَّ وعلا-أن يجبر كسرنا وكسره.

أحبَّتي في الله:

هذا هو اليوم الأول من أيَّام هذه الدورة العلميَّة الشرعيَّة-دورة الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة-في هذا المسجد-مسجد بني سلمة-، والتي بعد قليل ستبدؤون فيها درسكم الأوَّل مع أخينا صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد الوهَّاب العقيل، في كتاب عظيم ألا وهو ما يتعلَّق بشمائل رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-.

وشمائل رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-لا بد لطالب العلم من أن يُلِمَّ بها، وأن يعرفها، فإنَّها داخلة تحت معرفة العبد نبيَّه، فإنَّ معرفة النبي-صلى الله عليه وسلَّم-لا يكون إلَّا بمعرفة سننه وأيَّامه-صلوات الله وسلامه عليه-.

فالسنن المراد بها: الأحكام.

وأيَّامه المراد بها: سيرتـــه.

وأوَّل ما يأتي في السيرة أن تعرف حال صاحب هذه السيرة-صلوات الله وسلامه عليه-، فتعرف ما جاء في نسبه، وتعرف ما جاء في وصفه-صلوات الله وسلامه عليه-في خِلْقَته، وتعرف في خُلُقِه-صلى الله عليه سلَّم-، ثمَّ بعد ذلك تنطلق إلى سيرته-عليه الصلاة والسلام-التي هي أيَّامه-عليه الصلاة والسلام-، ثمَّ مغازيه-صلى الله عليه وسلَّم-كما كنَّا تكلَّمنا في لقاءات سابقة.

فإنَّ السيرة النبويَّة تتضمَّن عند أهل العلم ثلاثة أقسام:

---

[1] (صحيح البخاري/ ٧١)

١ - الْمَبْدَأ.

٢ - والْسِيَر.

٣ - والمغازي.

المبدأ أو المبتدأ منهم من يسمِّيه بهذا وهذا، والسير والمغازي.

فالمبتدأ المراد به: ما يتعلَّق بتاريخ الخليقة منذ أن خلق الله السماوات والأرض وما خلق هذا الإنسان والتقلُّبات إلى عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-.

ثمَّ بعد ذلك يأتي الْمَبْعَث، ثمَّ بعد ذلك المغازي، فجاء الاختصار من بعض أهل العلم وحُذِف القسم الأول لأنَّه لا علاقة له بالسيرة، اسمه مبتدأ هكذا مستقل.

وهذا ما فعله ابن هشام-رحمه الله-في كتاب ابن إسحاق-رحمه الله-، فإنَّ كتاب ابن إسحاق اسمه (**المبتدأ والمبعث والمغازي**) المعروف عند الناس بـــ (**السيرة النبويَّة لابن إسحاق**)، أو المعروف عند الناس بـــ (**سيرة ابن إسحاق**)، فهذا هو أصله، فجاء ابن هشام-رحم الله الجميع-وحذف القسم الأوَّل الذي هو المتعلَّق بإيش؟، بالمبتدأ، وأبقى القسمين الثاني والثالث، قال: هما المطلوب وهما المقصود، فبقي كتابه (السيرة النبويَّة لابن هشام) قائمًا على هاذين الركنين:

الأوَّل: المبعث، الذي يتضمَّن بعثة النبي-صلى الله عليه وسلَّم-، والمقدِّمة قبلها من ولادته-صلى الله عليه وسلَّم-، ثمَّ استمر فيه إلى هجرته-صلى الله عليه وسلَّم-، ثمَّ جاء بعد ذلك قسم الغزوات.

ومنهم من كتب في قسم واحد وهو: المغازي، مغازي رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-.

فالشاهد:

أنَّ ما يتعلَّق بشمائله-عليه الصلاة والسلام-هو داخل في قسم المبعث لأنَّه متحدِّث عن وصف هذا النبي-صلى الله عليه وسلَّم-في خِلقَته وخُلُقه-عليه الصلاة والسلام-، فهو جزء من السيرة النبويَّة، جزء من سيرة رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-، وينبغي لطالب العلم أن يُلمَّ به.

ولَمَّا كان ما كتب في هذا الباب أشهر شيء فيه هو كتاب الإمام أبي عيسى الترمذي، فكتابه أشهر كتاب في شمائل النبي-صلى الله عليه وسلَّم-، وقد حوى هذا الكتاب الضعيف إلى جانب الصحيح، والصحيح كثير ولله الحمد وهو أكثر.

عمد الشيخ العلَّامة المحدِّث الفقيه الْمُنْعِشُ لحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-دراية ورواية، ونقول هذا: دراية، ورواية، وتصحيحًا وتضعيفًا، تأليفًا في ذلك، وإبانة لِمَا صحَّ وما لَم يصح، وإبانة لِمَا لم يصح خاصَّة فالصحيح كثير، واختصارًا للكتب النافعة في هذا الجانب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني-رحمه الله تعالى-، إذ عمد إلى هذا الكتاب فلخَّصه واختصره بكتابه الموسوم (**مختصر شمائل النبي-صلى الله عليه وسلَّم-**).

فضمَّ في مختصره الصحيح، والحسن بقسميه: حسن لذاته والحسن لغيره وهو ما ينجبر بتعدد الطرق، وحذف الضعيف إذ الضعيف لا يمكن أن ينسب إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-به شيء.

فأحببنا أن يكون من هذا الباب الكتاب الذي يدرس بين أيدي أبنائنا ويتدارس معهم هو كتاب ثابت فيه كل ما جاء عن رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-، حتَّى يأخذه طالب العلم وقد اطمأنَّت نفسه إلى ذلك، فأمَّا العارف الخبير فسهل عليه ولكن من لم يكن عنده دُرْبَةٌ ومُكْنَةٌ في معرفة الصحيح من الضعيف وتمييز الضعيف يكون قد ضُمِنَ له هذا الباب وأمن أن يدخل عليه الضعيف بإذن الله-تبارك وتعالى-.

فاخترنا أن يكون الكتاب الذي يتدارس هو هذا الكتاب الذي بين أيديكم، (**مختصر شمائل النبي-صلى الله عليه وسلَّم-**)، وأحببنا أن يكون الافتتاح به، فأفضل ما افتتح به ما كان له علاقة به-صلى الله عليه وسلَّم-، إذ به تعطَّر المجالس، وبه تزكَّى النفوس، وبه تشنَّف الأسماع.

فسيرته العطرة-صلوات الله وسلامه عليه-هي أولى ما اعتنى به طلبة العلم في هذه الأيَّام، وذلك لِمَا سمعتموه بالأمس من الهجمة الشرسة عليه-صلوات الله وسلامه عليه-، فينبغي لطالب العلم أن يُلِمَّ بهذا، وإلَّا فالكتب في هذا الجانب كثيرة ولكن اخترنا أقدمها وأشهرها وهو الأساس في هذا الباب.

أيها الإخوة والأبناء:

قبل أن نبتدئ معكم إن شاء الله-تعالى-لعلَّ الكتاب قد بلغ إليكم جميعًا، ومن لم يكن بلغه الكتاب فَلْيُشر إلى إخوانه ويرفع يده وإن شاء الله-تعالى-تصله النسخة، ولا أزال أرى الإخوة إلى قبل قليل وهم يوزِّعون النسخ.

والذي أحب أن أذكره وأذكِّر به أنَّ من وجد في نفسه الالتزام أو يغلب على ظنِّه الالتزام معنا فليأخذ، وإلَّا فليدع النسخة لغيره لأنَّا نخشى أن يكون هذا الأخ يأتي يومًا ثمَّ لا يأتي ويأخذ الكتاب وإخوانه بحاجة إليه، فمن كان ملتزمًا بالحضور فليأخذ، ومن لا فيكفيه السماع ويدع الكتاب لإخوانه، وإن بقي شيء فثقوا تمامًا سنوزِّعه عليكم في آخر الدورة لن ندخر عليكم شيئًا.

والكتاب المطبوع وإن لم تدرسه الآن هو حاوٍ لكتب تنفعك بإذن الله ومتون بدل أن تشتريها مفرَّقة قد جمعت في هذا، فأرجو من أبنائي وأحبتي أن يكون الأمر كما ذكرنا، فمن لم يصله الكتاب وهو ملتزم بالحضور فليرفع يده أو ليأتي إلى إخوانه وإنَّه بإذن الله-تعالى-سنقلب به معه.

الباب الثاني أو الأمر الثاني: ما يتعلَّق بهذا المقام هو أنَّ بعض أبنائي وأحبَّتي قبل قليل ذكر أنَّ المنظومة فيها بعض الأخطاء-منظومة لاميَّة المنسوخ-، ونحن قد ذكرنا هذا في لقاءٍ سابق وقد قرأنا اللاميَّة كلَّها وصحَّحناها في لقائنا الأوَّل ومن أراد أن يصحح فليعد إلى المسموع فإنَّه إن شاء الله-تعالى-سيجد تصحيحه للاميَّة كلِّها.

وما يتعلَّق بالقسم الذي سندرسه إن شاء الله-تعالى-ابتداءً من هذه الليلة سيجري عليه أيضًا التصويب والتصحيح مع ابتدائنا في الدرس فيه بعد صلاة العشاء بحول الله-جلَّ وعلا وقوَّته-.

الأمر الثالث: الذي أحب التنبيه عليه هو أنَّه ستكون هنا إن شاء الله-تعالى-مائدة إفطار لأبنائنا وإخواننا، وليس الأمر أيضًا مختصًّا بالصائمين، فغير الصائمين أيضًا يدخلون معهم وذلك لأنَّهم قد حبسوا أنفسهم في قرابة ثلاث ساعات إلى أربع ساعات إلى ثلاث فترات، فليطمئن الصوَّام وغيرهم إن شاء الله-تعالى-فستكون هذه السفرة مهيَّأة لطلبة العلم وهي تليق بحالنا نحن على قدر استطاعتنا، وطالب العلم يكفيه لقيمات كما قال القائل:

حدثنا شيخنـــــا الكنـــــــاني عن أَبِهِ صـــاحـــب الخِطـــــابـــــهْ
أسرع أخا العلمِ في ثـــــــلاثٍ في الأكل والشرب وفي الكتـــــابـــهْ

فيكفيه لقيمات وإن شاء الله-تعالى-يحصل بها الغرض، فإن وجدتم القصور فإن شاء الله-تعالى-كرمكم وفضلكم يسدل فيه على تقصيرنا الستور، فجزاكم الله خيرًا وسوف تجدون إن شاء الله-تعالى-ما يسرُّكم في هذا.

الأمر الرابع: ما يتعلَّق بتوزيع الكتب أو الأشرطة أو المطويَّات، فالذي أطلبه وأرجوه من أحبَّتي وأبنائي وإخوتي جميعًا أنَّه قد تقرَّر هذا لدى كثير منكم وعُلم ألَّا يوزع

شيء في هذه الدورة إلَّا بعد مراجعة القائمين على الدورة والمشرفين عليها، فإنَّ هذا ممنوع نظامًا وممنوع شرعًا.

فأمَّا نظامًا: فإنَّه قد جاء الأمر من الجهات المعنيَّة بأن لا يوزَّع شيء من المنشورات والكتب والمطويَّات إلَّا بعد أن يفسح ويرخَّص وهذا يحتاج فيه إلى الإذن الرسمي، واللجان القائمة على هذه الدورة هي المسئولة، فحينئذ وجب الرجوع إليها حتَّى تعلم بذلك، فإن كان الكتاب مسموحًا فهم يتولَّونه، وإن لم يكن مسموحًا فإنَّهم ينظرون في الطريقة التي يوصل بها إلى إخوانهم وأبنائهم حيث يحصل النفع ولا يحصل الضرر، فإنَّا نقول هذا سواءً في المطبوعات أو في المسموعات، فمن كان عنده شيء فليراجع إخوته القائمين على هذه الدورة وسيكون إن شاء الله-تعالى-الأمر.

وأحب أن أختم الكلام والحديث: بأنَّ شيخكم صاحب الدرس ألا وهو أخونا صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب قد وصل وإن شاء الله لا نأخذ الوقت عليه.

نختم بهذه اللطيفة: ألا وهي أنَّ بعضكم بل كثير منكم فيما تقدَّم كان قد وزِّع عليه مثل هذه البطاقة التي فيها ما ترون عنوان التواصُّل معنا نحن القائمين على هذه الدورة، فستوزَّع هذه البطاقة فمن لم يكن أخذها فليأخذ فيكتب فيها اسمه وجنسيَّته وجوَّاله وإيميله إذا كان عنده.

وذلك حتَّى يحصل التواصل معه، فإن حصلت محاضرة أو حصل درس أو حصل شيء أو جاء زائر من المشايخ إلى هذه المدينة-مشايخ العلم-، فإنَّه سيكون جوَّاله أو رقم الاتصال به-الإيميل-هنا، فسنبعث إليه بإذن الله-تعالى-رسالة عبر جوَّاله تنبِّهه بوجود شيء يستفيد منه إن شاء الله-تعالى-، فلا تبخلوا على أنفسكم بأن تملئوا هذه البيانات لهذا الأمر الذي ذكرت.

وأستميح أخي الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب العقيل-جزاه الله خيرًا-أن أخذت من وقته جزءًا فحيَّاه الله وحيَّاكم جميعًا وبعون الله نعلن الابتداء في هذه الدروس، ونسأل الله-جلَّ وعلا-بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإيَّاكم مِمَّن استمع وانتفع فاتَّبع إنَّه جواد كريم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

قام بتفريغه: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الاثنين الموافق: ١/ ذو القعدة/ ١٤٣٣ للهجرة النبويَّة الشريفة.